

المتورط فيها، هو وأفراد عائلته، فيكون مصيره كمصير سلفه إيهود أولمرت، أو عن طريق تفكك ائتلافه الحكومي وفشله في بناء توليفة قادرة على توفير الفوز له في انتخابات نيابية مبكرة باتت متوقعة في مستقبل قريب، كما جرى لسلفه الآخر إيهود باراك.

وفي هذا المجال تحديداً، ينظر المراقبون باهتمام إلى دور انقلابي قد تلعبه الجالية الروسية في إسرائيل وزعيمها المتطرف أفيغدور ليبرمان، باعتبار أن هذه الجالية تشكل كتلة حزبية هامة ومتجانسة وذات دور انتخابي فاعل في تشكيل أي ائتلاف حكومي جديد في إسرائيل.

ويشير هؤلاء المراقبون إلى أن يهود إسرائيل الروس كانوا في السابق معادين للاتحاد السوفياتي وعقيدته الشيوعية، في حين يختلف حالياً بصورة جذرية موقفهم من وطنهم الأم، حيث باتوا يشكلون جسراً بالغ الأهمية في العلاقات السياسية والاقتصادية (والمالية بشكل خاص) ما بين إسرائيل وروسيا.

وفي ختام هذه المطالعة لا يستبعد البعض أن يلعب ليبرمان في تسوية إسرائيلية - فلسطينية - عربية يراها توافق روسي - أميركي، الدور نفسه الذي لعبه مناحيم بيغن في الوصول إلى اتفاقيات «كامب ديفيد» مع مصر. فقد أثبتت التجارب أن اتفاقات التسوية في إسرائيل كانت تحتاج دائماً إلى زعيم منطرف لتعريفها.

وإذا كانت الإطاحة بالرئيس بشار الأسد ونظامه في سوريا ستشكل الشرط اللازم لتحقيق السلام في المنطقة وفقاً لرؤية نتانياهو، فهل سيكون هذا السلام وفقاً لرؤية بوتين مشروطاً بإسقاط رئيس الوزراء الإسرائيلي؟

* كاتب سوري

الروسي قد أوضح له بصريح العبارة أن تحالف روسيا مع إيران هو قرار استراتيجي، الأمر الذي أصابه بحال من الهستيريا.

ففي تقرير مفصل نشرته «يديعوت أحرونوت» في عددها الصادر بتاريخ 2017/08/29، أعده معلقها السياسي شيفر استناداً إلى مصدر روسي حضر اللقاء، أكد أن نتانياهو كاد يفقد السيطرة على أعصابه خلال اللقاء، وبدا مرتبكاً عندما فوجئ برود الرئيس بوتين على طلبه العمل لتقليص وجود إيران في سوريا، في حين حافظ الرئيس الروسي على هدوئه. ونوهت الصحيفة إلى أن كابوس نتانياهو قد تحقق حيث أن بوتين قد تجاهل تهديداته المبطنة بشن عمليات عسكرية في سوريا «ما لم تستجب موسكو لطلبه إخراج القوات الإيرانية والمليشيات الشيعية من سوريا، ولم يبد أي تأثير بها».

وأضافت الصحيفة نقلاً عن المصدر الروسي أن بوتين واصل «صعق» نتانياهو، عندما أخبره «أن روسيا ستواصل تعزيز مكانة إيران في المنطقة»، وحسب المصدر نفسه فقد أهان بوتين ضيفه واستخف به عندما قال: «ليس بوسع إسرائيل أن تلقن الكرملين الدروس حول الكيفية التي تحقق بها مصالحها في منطقة الشرق الأوسط». (المقتطفات منقولة عن الترجمة التي نشرها موقع «عربي 21»).

إن قراءة دقيقة لهذا المشهد الإسرائيلي الداخلي ومعه المشهد السوري المجاور، وما يحيط بهما من معطيات إقليمية ودولية، توحى بكثير من اليقين أن رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي بنيامين نتانياهو قد أصبح على عتبة مغادرة الصورة، سواء عن طريق تطورات التحقيق القضائي في ملفات الفساد

مشايح الإعمار وإعادة الإعمار العملاقة التي ستنشأ في المنطقة امتداداً من إيران والخليج إلى العراق وسوريا وتركيا والمتوسط؛ وما البيان الصادر قبل أيام عن اجتماع قمة «البريكس» في الصين، الذي يعرب فيه زعماء هذه المجموعة الدولية المهمة عن استعدادهم للمشاركة في إعادة بناء سوريا، إلا مؤشر صريح لهذا المستقبل المتوقع.

مع هذا الانقلاب الجذري في معطيات المشهد، أصيب نتانياهو بالهلع، فبادر إلى إرسال وفد رفيع المستوى على الصعيدين السياسي والأمني (يضم رئيسي «الموساد» و«أمان») إلى واشنطن لبحث الموضوع مع الإدارة الأميركية معلناً بشكل صريح أنه يطالب بأخذ مصالح إسرائيل في اتفاق التفاهم على الجبهة السورية الجنوبية. وعندما عاد وفده بخفي حنين من واشنطن توجه هو شخصياً إلى سوتشي للقاء مع الرئيس بوتين من أجل الغرض نفسه. لكن نتائج تلك الزيارة كانت كارثية بالنسبة له فقد نشرت الصحافة الإسرائيلية أنه لم يصب بالخيبة فحسب، بل أصابته حالة هستيريا في حضرة الرئيس الروسي الذي «صفعه» بالقول كما نقل موقع «البرافد»: «من أنت حتى تملي على روسيا سياستها في سوريا؟».

وقد كتب المعلق الإسرائيلي ناحوم برنباغ في «يديعوت أحرونوت» مقالاً بتاريخ 2017/08/31 حول حالة الهستيريا التي تعترى نتانياهو هذه الأيام: «وهو الغارق حتى الرقبة في ذاته ومشاكله العائلية وتحقيقاته»، وما يعبر عنه من غضب وتهمة تجاه أجهزة الإعلام، خاصة بعدما نقل «شمعون شيفر في «يديعوت أحرونوت» عن موقع «برافد» على الإنترنت وصف لقاء نتانياهو مع بوتين بأنه «فشل تام». وأن الرئيس

المتوقعة لهذه النهاية.

لقد بات واضحاً أن أي تسوية للصراع العربي - الإسرائيلي باتت ملزمة بأخذ المعطيات الجديدة بالاعتبار.. ليس فقط أن سوريا وحزب الله لم يصبحا خارج الصورة، كما كان يحلم نتانياهو، بل على العكس تماماً، أصبحا ومعهما إيران في صلب المشهد الجديد. وعليه لا بد من التعامل معهم في إطار أية مساع لتحقيق التسوية، سواء على الصعيد السوري الداخلي أو على الصعيدين الإقليمي والدولي.

لقد كان تخلي الولايات المتحدة العلني والعملي عن مشروع قطع طريق دمشق بغداد، اعترافاً أميركياً صريحاً بأن التواصل الإيراني مع البحر الأبيض المتوسط سيكون من حقائق التسوية السورية والإقليمية القادمة. تماماً كما كان التفاهم العلني والعملي بين واشنطن وموسكو على اتفاق تخفيض التوتر في الجبهة الجنوبية نوعاً من وضع الحد عملياً لطموح نتانياهو إلى دور إسرائيلي مشارك بحجم كبير في رسم الخريطة السورية والإقليمية في ظل التسوية القادمة! بل أكثر من ذلك باتت المسودات المتوقعة لهذه الخريطة تتضمن تفاهماً روسياً - أميركياً على أن حل المسألة الفلسطينية هو الشرط الضروري لضمان السلم والاستقرار في هذه المنطقة التي يراهن الطرفان الدوليان الكبيران وشركائهما الكبرى على أنها يجب أن تتحول إلى ورشة بناء دولية هائلة يحتاجها الاقتصاد العالمي بصورة ماسة. فخطوط البنزول والغاز من إيران والخليج إلى المتوسط التي سيتم بناؤها بمشاركة (وإلى حد ما سيطرة) يفرضا الوجود الروسي الممتد إلى عشرات السنوات في سوريا، ستكون مجرد قمة جبل الجليد المنظورة من عشرات بل مئات

الظهر، اللهم إلا الناس الطيبين الواعين الصادقين، ولكنهم كعادة بلادنا، بل ربما العالم أجمع، لا حول لهم ولا قوة، ولهذا هم الأكثرية الصامتة. المقاومة الإسلامية في لبنان تقول دائماً إنها تقرأ في كتاب منظمة التحرير، وتستخلص منه النتائج بشأن طريقة التعامل مع الأكثرية الصامتة والأقلية المتحكمة والعميلة. وإن كان من خير في الأمر كله، فهو أن حركات المقاومة في بلادنا صارت تتعلم من التجارب السابقة ولا تقع في الفخ نفسه الذي ينصبه العملاء أنفسهم لمصلحة السيد الأميركي نفسه. مجرد أن حزب الله استفاد من تجربة منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، ولم يقع في فخ بوسطة عين الرمانة الجديدة، والله يعلم أن جماعة البوسطة أنفسهم قد فسخوا بوسطة وأكثر، لتتفجر من الحزب، ولكن وعي قيادته وتعلمهم من التجربة الفلسطينية، وهم في معظمهم من أبناء تجربة المقاومة الفلسطينية في لبنان، وهذا أمر بحد ذاته يستدعي شكر ياسر عرفات ومنظمة التحرير، وإن كان للأسباب الغلط. نحن شعب اعتدى علينا الغرب الاستعماري وتوهمن أن امتنا ستثور كرامتها ولا تسمح بقبول ما حصل، فإذا بهذه الأمة كانت شريكة في الخيانة، وفي تصفية وطن وشعب وقضية، وكل ذلك مقابل عرش أو زعامة لا تقدم ولا تؤخر. وإذا بملك المغرب يسمح لإسرائيل بتسجيل اجتماعات وزراء الدفاع العرب في القمة العربية في المغرب عام 1967، ومنها تعرف إسرائيل أن العرب ليسوا بوضع عسكري يسمح لهم بمحاربة إسرائيل، فكان أن شنت إسرائيل حرب ال67 أمنة مطمئنة. هذه هي أمتنا وقيادتها، ولا بد من ذكر كل ذلك حين يريد أحد أن يقوم تجربة منظمة التحرير وياسر عرفات شخصياً. وما الذي يمكن توقعه من تلك الأمة، فكما جاء في القرآن الكريم (زين

للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة، من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب». وهذه أمة تصوم وتصلي، ولكنها لا تعرف معنى الأخلاق وما معنى الدين ولا معنى الكرامة، ما توافرت الدولارات والمناصب والألقاب. هي الأمة نفسها التي قال الله فيها سبحانه وتعالى «الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر. كلا سوف تعلمون». ماذا سيعلمون والأمر كله واضح أمامهم، وليس كما حصل مع جماعة سيدنا عيسى المسيح الذي طلب من الرب أن يسامحهم «لأنهم لا يعلمون». العرب يعلمون ويرتضون الذل لأنفسهم ما دام الحساب في البنك «محرز». هي الأمة نفسها التي حين أراد أبرهة الحبشي سرقة كعبتها ونقلها إلى الحبشة، في العام نفسه الذي ولد فيه النبي عليه الصلاة والسلام، والذي صار اسمه عام الفيل، لأن العرب فيه تعرفوا إلى قبيلة الجيش الحبشي، الذين قام زعيمهم وهو جد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بمواجهة أبرهة الحبشي لكل من يطالب بجماله وإبله، التي استولى عليها جيش أبرهة الحبشي، لا ليمنع أبرهة من هدم الكعبة كما جاء في تاريخ الطبري: «وبلغ أبرهة بلاد خثعم وخرجت له قبائل شهران وناهس بقيادة رجل يدعى نجيل بن حبيب الخثعمي فأسره أبرهة وأراد قتله فقال له الخثعمي: أيها الملك لا تقتلني، فإني لديك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، بالسمع والطاعة». أما تقيف، فلم تبد مقاومة، وخرج قائدهم المدعو «مسعود بن معتب» فقال: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون كل مطيعون، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد وإنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك»، فلما اقترب أبرهة من مكة استولى على إبل

بني هاشم وبعث رجلاً يدعى «حناطة» الحميري ليسال عن شريف المنطقة فقيل له هو: «عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي فتوجه حناطة هذا وقال لعبد المطلب إن الملك لا يريد حربكم إنما جاء ليهدم البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمانكم، فإن لم يرد حربي فأتني به. فخرج عبد المطلب مع حناطة نحو معسكر أبرهة وسأل عن «ذو نفر» المذكور آنفاً، وتزعم كتابات أهل الأخبار أنه كان صديقاً له فقال له: يا ذا نفر، هل عندك غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر، وكان له صديقاً: وما غناء رجل أسير في يدي ملك، ينتظر أن يقتله غداً أو عشيّاً. ما عندي غناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أنيساً سائق الفيل لي صديق، فسأرتل إليه، فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما تريد، ويشفع لك عنده بخير، إن قدر على ذلك. قال: حسبي، فبعث ذو نفر إلى أنيس، فجاء به، فقال: يا أنيس إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب الملك له مئتي بعير، فاستأذن له عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فدخل عبد المطلب على أبرهة سائلاً إياه أن يرده له العير أو الإبل التي سلبها منه، فعجب أبرهة واحتقره رغم أنه أكرمه، حينما رأى وسامته على روايات الإخباريين، متعجباً منه كيف يطلب الإبل ويترك البيت الذي جاء لهدمه، فأجاب عبد المطلب إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، فلما رفض أبرهة طلب عبد المطلب، خرجت قريش إلى الجبال تنظر ما فاعل أبرهة في كعبتهم. وفي صبيحة اليوم التالي عزم أبرهة على تنفيذ مخططه وهيا الفيل الذي جلبه من صنعاء واسم الفيل كان «محمود». فقام الخثعمي الذي أسره أبرهة بالهمس في أذن الفيل قائلاً: «أبرك محمود، وأرجع

»

وجد رئيس الوزراء الإسرائيلي نفسه اليوم امام مشهد مغاير أطاح جميع مرآهاته

»

»

ما علينا إلا أن نقبع مرتعدي الفراص فيما نحن نراقب حساباتنا في المصارف

خيرة شباب المخيمات كانت تذهب في عمليات فلسطين

»

راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام»، فبرك الفيل ولم يقم. فوجهه أبرهة جهات مختلفة عن مكة فقام «بهرول» ورفض الهولة ناحية مكة. وإذ هم في انشغالهم حتى خرجت طيور من البحر تحمل ثلاث حجارة، واحدة في مناقيرهم واثنان في أرجلهم أصابت جميع الجيش فحاولوا الفرار وسألوا الخثعمي طريق العودة وأورد أهل الأخبار بيتاً شعرياً منسوباً إليه جاء فيه: أين المغر وإياله الطالب

والأشرم المغلوب غير الغالب. ويقول الطبري: «خرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل، فاصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعته مدة تمت قبحاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون».

وكان الطبري ينهي كل فقرة بعبارة والله أعلم. ومثل الطبري أقول: الله أعلم، ولكن أغلب الظن أن العرب سيظلون يرددون ما قاله عبد المطلب من أن لبيانون فيرست وجوردان فيرست والجمال والإبل والنقط فيرست، أما بيت المقدس، فله رب يحميه. وما علينا إلا أن نقبع مرتعدي الفرائص فيما نحن نراقب حساباتنا في المصارف تزداد وفي انتظار المعجزة وفي انتظار «طير أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كحصف مأكول». وبعدما تهزم الطير الأبابيل إسرائيل وأميركا سنعود إلى فلسطين ونصير الأمة كلها تحج للقدس وفلسطين بكل حب وسعادة، وتنسى أنها ذات يوم حين كانت فلسطين بحاجة إليهم تنكروا لها مثلما تنكروا قبل ألف وخمسة سنة للكعبة، حين أتها جيوش الاحتلال لتغصبها. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين. وشكراً يا أهلنا ويا إخوتنا العرب.

* كاتب فلسطيني - نيويورك